Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiya
Royato Mu'asirah
ISSN: 2783-5154
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 3 • No. 1 • Winter & Spring • 2023

The Methodology of Imam Hasan Askari's Confrontation with the People of the Book

Asghar Montazer Al-Gha'em[1] Zahra Soleimani[2]

Received: 10/08/2023 Accepted: 15/11/2023

Abstract

The Imamate period of Imam Hasan Askari (AS) (254-260 AH) was the time of growth and development of intellectual and cultural currents. Among the most important groups of the Imam's audiences are caliphs, theological and jurisprudential Shiite sects, as well as the agents of non-Islamic religions and thoughts. According to the intellectual and social conditions, that Imam used methods so that the process of spiritual influence and persuasion could be done well. In this period, people of the book lived next to Muslims and had an impact on the scope of cultural changes. With the central question of what are the methods of Imam Askari (a.s.) in dealing with the people of the book, the present article seeks to know these methods and provide a model in this field in a descriptive and analytical way. This article has examined the most important methods of Imam Askari (a.s.) in dealing with people of the book, including dispelling doubts,

1. Professor, Department of History, University of Isfahan, Isfahan, Iran. montazer@ltr.ui.ac.ir.
Orcid: 0000-0003-0988-1476

2. PhD in History of Islam, Faculty of Medicine, Isfahan University of Medical Sciences, Isfahan, Iran (Corresponding author). zahrasoleimany@yahoo.com. Orcid: 0009-0007-7200-6312

* Montazer Al-Gha'em, A., & Soleimani, Z. (2023). The methodology of Imam Hasan Askari's (a.s.) confrontation with the People of the Book. *Journal of Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah, 3*(5), pp. 131-156. https://doi.org/10.22081/IHC.2024.75152.1030

turning threats into opportunities, proving his knowledge to attract people, kindness and gentleness in dealing and socializing, disliking polytheism and using occult knowledge to guide people. The hypothesis of the article is that Imam Askari (a.s.) focused on guiding people, while removing doubts and defending Islam, he chose the path of reforming and guiding people as his duty, and reformed the social environment as much as possible. Therefore, this method can be considered as a model in the path of religion promotion, spiritual influence and identity building.

Keywords
Imam Askari (a.s.), methodology, the people of the book.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤
مجلة علمية نصف سنوية
السنة٣ ● العدد١ ● شتاء وربيع ● ١٤٤٥هـ

منهجية تعامل الإمام الحسن العسكري عليه السلام مع أهل الكتاب

أصغر منتظر القائم[١]　　زهراء سليماني[٢]

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٨/١٠　　تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١١/١٥

ملخص

تزامنت إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (٢٥٤-٢٦٠هـ) مع فترة نمو وتوسع التيارات الفكرية والثقافية، ومن أهم الفئات التي تعامل معها الإمام هي الخلفاء، والفرق الشيعية والكلامية والفقهية، وأصحاب الديانات والأفكار غير الإسلامية. وقد استخدم الإمام وبحسب اقتضاء الظروف الفكرية والاجتماعية أساليب لتنفيد عملية التأثير الروحي والإقناع بشكل جيد. وكان للتعايش بين أهل الكتاب والمسلمين في هذا العصر أثره في نطاق التطورات الثقافية. السؤال الرئيسي لهذه المقالة هو: ما هي الأساليب التي اتخذها الإمام العسكري في تعامله مع أهل الكتاب، فنحاول اكتشاف هذه الأساليب وتقديم نموذج في هذا المجال بطريقة وصفية وتحليلية. فيدرس المقال أهم الأساليب التي مارسها الإمام العسكري في تعامله مع أهل الكتاب، وهي: إزالة الشبهات، وتحويل التهديدات إلى فرص، وإثبات أعلميته لأجل جذب الآخرين، والتعامل مع الآخرين بمرونة ورفق، والتبرّي من الشرك، والاستفادة من علم الغيب في سبيل

١. أستاذ جامعي في فرع التاريخ بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران.　montazer@ltr.ui.ac.ir
Orcid: 0000-0003-0988-1476

٢. دكتوراه في تاريخ الإسلام بجامعة أصفهان، أصفهان، إيران (الكاتب المسئول).
zahrasoleimany@yahoo.com　Orcid: 0009-0007-7200-6312

* منتظر القائم، أصغر؛ سليماني، زهراء. (٢٠٢٣م). منهجية تعامل الإمام الحسن العسكري عليه السلام مع أهل الكتاب. مجلة التاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، نصف سنوية علمية، ٣(٥)، صص ١٣١-١٥٦.
https://doi.org/10.22081/IHC.2024.75152.1030

هداية الناس. فرضية البحث هي أنّ الإمام العسكري عليه السلام اختار عملية إصلاح الناس وهدايتهم مهمةً لنفسه، وسعى قدر الإمكان لتصحيح البيئة الاجتماعية، وذلك بالتركيز على هداية الناس ومن خلال سعيه لإزالة الشبهات والدفاع عن الإسلام. وهذه الأساليب من شأنها أن تكون نموذجاً للمجتمعات الإسلامية في سبيل نشر الدين، والتأثير الروحي، وخلق الهوية.

الكلمات المفتاحية

الإمام العسكري عليه السلام، المنهجية، أهل الكتاب.

مقدمة

حدّد الله تعالى في العديد من الآيات القرآنية كيفية التعامل مع أهل الكتاب، كما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بالوصايا القرآنية والتعاليم الإسلامية حول التعايش السلمي مع أهل الكتاب واحترامهم ومراعاة حقوقهم الإنسانية. لكن إلى جانب هذا التأكيد وبالاعتماد على ذاك المنطق القرآني المتين تمّ رفض ولاية الكفار وأهل الكتاب رفضاً شديداً. وربما يعود هذا الموقف إلى إنكارهم للحقائق وممارساتهم العملية ضد رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين (الممتحنة،١ و٩). وبناءً على ذلك أقرّ الإسلام التعامل مع أهل الكتاب مع تأكيده على مصالح المسلمين. فمعرفة وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام في كيفية التعامل مع أهل الكتاب تساعد في إدراك مختلف أبعاد التعاليم الدينية، كما تكشف عن صورة أهل البيت باعتبارهم نماذج سلوكية صالحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فمن شأن هذه المقالة أن تبين لنا طرق التأثير في قلوب المخاطبين في العصر الراهن من خلال دراسة الأساليب التي اتخذها الإمام العسكري عليه السلام في التعامل مع أهل الكتاب، وكذلك توعية المجتمع بأصول هذه الأساليب ومبادئها. يأتي هذا التعامل داخل إطار الحكومة الإسلامية، لكن دفّة الحكم لم تكن بيد الإمام العسكري كما كانت في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وعصر أمير المؤمنين عليه السلام، بل إنّ الإمام من وجهة نظر المجتمع مجرّد شخص يتّصف بالعلم والوثاقة. فينبغي الالتفات إلى أن الإمام اتخذ هذه الأساليب وهو ليس حاكماً، فلا يمكن اعتبارها أساليب حكومية صرفة.

أما بالنسبة لخلفية البحث، فهناك العديد من البحوث حول سيرة الإمام العسكري عليه السلام، ولكن في خصوص أساليب تعامل الإمام العسكري مع أهل الكتاب لم يتمّ إجراء أي بحث. ففي مقالة الإمام العسكري عليه السلام التي تمّ نشرها ضمن دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopedia of Islam) قام جي. إلياش[1] بإلقاء

1. J. Eliash

الضوء على محاور من حياة الإمام عليه السلام، إلا أنه أهمل محاور مهمة، كتبيين الفترة الحساسة لإمامته، وأسلوب قيادته للشيعة، وطرق علاقته بهم، والاستراتيجيات التي اتخذها للدفاع عن الإسلام، وكيفية تعامله مع مختلف الفئات والفرق مثل أهل الكتاب (إلياش، ١٣٨٥، ص ٤٣٣).

أما المقالات التي تناولت حياة الإمام العسكري عليه السلام ونشرت ضمن "وقائع المؤتمر السنوي الرابع تحت شعار "الإمامان العسكريان امتداد للإمامين الكاظمين عليهما السلام" فتطرقت إلى نشاط الإمام في خصوص مسألة الغَيبة، وشبكة الوكالة، والتفسير المنسوب للإمام العسكري، ودور الإمام التربوي تجاه جماعة الشيعة، ولم تلتفت إلى أساليب تعامله مع أهل الكتاب (جمع من الكتّاب، ١٤٣٧هـ، ج٢، صص ٣ و٤). وتحدّث محمد زاده في كتابه «حسن بن علي عليه السلام امام عسكري» عن بعض علاقات الإمام مع أهل الكتاب، من دون أن يشير إلى أساليب الإمام في ذلك (محمدزاده، ١٣٩٣، صص ٣١٢- ٣١٤). وهناك مقالة عنوانها «چگونگي مواجهه اهل بيت عليهم السلام با اهل كتاب»، إلا أنه وبخلاف عنوانه العام اكتفى بدراسة تعامل الإمام علي والإمام الصادق عليهما السلام مع أهل الكتاب، وأهمل نشاط الإمام العسكري عليه السلام في هذا المجال (زارع، ١٣٩٥، صص ١١٥- ١٣٠).

تحاول الدراسة الحالية التعريف بالأساليب التي اتخذها الإمام العسكري عليه السلام في التعامل مع أهل الكتاب، وذلك من خلال إلقاء الضوء على سيرته، وإحصاء الفئات التي استهدفهم الإمام، وتبيين إحاطته العلمية والتبليغية بظروف عصره. فبمعرفة هذه الأساليب نتمكن من تقديم نموذج من أساليب التعامل والحوار المتبادل. والسؤال الرئيسي لهذه الدراسة هو: ما هي أساليب الإمام العسكري عليه السلام في التعامل مع أهل الكتاب؟ وفرضية البحث هي «إنّ الإمام العسكري عليه السلام بالاعتماد على تدابير حكيمة لتوجيه الناس، ومن خلال الإجابة على الشبهات والدفاع عن الإسلام استطاع أن يتخذ هداية الناس وظيفة لنفسه، ويقوم بتحسين

البيئه الاجتماعية وإصلاحها، فيمكن اعتباره نموذجاً في طريق نشر الدين والتأثير الروحي وبناء الحضارة في المجتمعات الإسلامية».

١. الظروف السياسية والاجتماعية في عهد الإمام العسكري عليه السلام

تزامنت فترة إمامة الإمام العسكري (٢٥٤-٢٦٠هـ) ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية وهم المعتز، والمهتدي، والمعتمد (الإربلي، ١٣٨١، ج٢، ص ٤٣٠). وكان تعامل المهتدي وبحسب قول المؤرخين كتعامل عمر بن عبد العزيز (المسعودي، ١٣٦٥هـ، ص ٣٥٣). وفي عهد المعتمد اضطرب وضع البلاد، وقامت ثورات ضد الحكم العباسي (المسعودي، ١٤٠٩هـ، ج٤، صص ١١١و ١١٩)، مما أدى إلى تفاقم وضع الحكم، وانقسمت البلاد بسبب استقلال بعض الحكام في شرق العالم الإسلامي وغربه. ومن الخصائص الاجتماعية والسياسية الغالبة على هذه الفترة هي ضعف الخلافة، والفساد الإداري والاجتماعي، وبيع المناصب الحكومية وشراؤها، وإهمال رفاهية الناس، وممارسة الظلم في جباية الخراج، وقمع الاحتجاجات والانتقادات، وتعذيب معارضي الدولة العباسية، وجعل بيت المال حكراً على العباسيين (الجهشياري، ١٣٧٥، ص ١٤٢)، وورود مختلف الآراء والأفكار إلى البلاد الإسلامية، وقيام العديد من الثورات الشعبية (اليعقوبي، د. ت، ج٢، صص ٥٠٥-٥٠٨؛ الأصفهاني، د. ت، صص ٥٠٦- ٥٣٣). ونجد توصيف هذا الوضع في الأدعية الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام، حيث روي عنه: «وَحَكَمَ عَلَيْنَا غَيْرُ الْمَأْمُونِينَ فِي دِينِكَ وَابْتَزَّ أُمُورَنَا مَعَادِنُ الْأَبَنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ... فَاشْتَرَيتَ الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ وَحَكَمَ فِي أَبْشَارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ وَوَلِيَ الْقِيَامَ بِأُمُورِهِمْ فَاسِقُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَلَا ذَائِدٌ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ وَلَا رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَلَا ذُو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرَّى مِنْ مَسْغَبَةٍ» (ابن طاووس، ١٤١١هـ، ص ٦٤).

٢. تشخيص المخاطَب عند الإمام العسكري عليه السلام

إنّ معرفة فئات المخاطبين وأخذ أحوالهم بعين الاعتبار تُعدّ من مستلزمات التعامل الناجح والمؤثر، وهذا ما نجده واضحاً في سيرة الإمام العسكري عليه السلام. ففهم المخاطب واعتبار أحواله وظروفه يجعل تأثير الرسالة والدعوة أضعافاً مضاعفةً، وذلك من خلال كشف المناهج التي تسرع في انتقال الرسالة، والتعرّف على المعوقات. في عصرنا الراهن يتم إنفاق الكثير من المال والوقت لأجل التعرّف على الظروف العائلية والاجتماعية للمخاطبين، لتحصيل أكبر قدر ممكن من الكفاءة في التأثير من خلال المعلومات المتوفرة، وبالاعتماد على أقلّ ما يمكن من الإعلانات. والطريقة الأفضل والأكثر شيوعاً لمعرفة المخاطبين هي تقسيمهم إلى فئات معينة، والذي من شأنه تحديد استراتيجيات التعامل مع المخاطب في جميع المجالات. والملفت للنظر هو وجود العديد من المناهج المتنوّعة لتقسيم المخاطبين وتصنيفهم، يمكن لكل واحد منها أن يكون أكثر تأثيراً في ظروف محدّدة، نعم؛ لا يمكن معرفة المخاطب بشكل كامل من خلال واحد أو اثنين فقط من هذه التقسيمات.

٣. تصنيف التيارات الفكرية التي تعامل معها الإمام عسكري عليه السلام

تُظهر الدراسات المجتمعية لعصر الإمام العسكري عليه السلام مجموعة واسعة من الاتجاهات والمواقف المؤيدة والمعارضة للإمام، مما دفع الإمام إلى القيام بإزالة المعوقات، وإثبات حقانيته، ونشر الإسلام، وذلك بالاعتماد على علمه، وذكائه، وتدبيره، وصبره. هذا بالرغم من أنّ التعامل مع كل واحدة من هذه الفئات والجماعات، والتأثير على قلوبهم يستلزم أن يتولى جمع من الخبراء وأصحاب الاختصاص مساعدة الإمام في كيفية التعامل معها وتنفيذ مهمته الإلهية.

وبشكل عام؛ يمكن تصنيف بعض التيارات الفكرية التي تعامل معها الإمام كالتالي:

١. الخلفاء والحكام (ومنهم الخلفاء الثلاثة، وخلفاء الحزب العباسي وعمّالهم).
كان تيار الخلفاء أو التيار العباسي أكبر التيارات السياسية والفكرية والاجتماعية، وينضوي تحته تيارات متفرّعة متعدّدة. وكان للايديولوجيا دور كبير في هذا التيار، كما أن أتباعه كانوا في كل حقبة زمنية يعادون إحدى الجماعات الكلامية، إلا أنهم اقتربوا أخيراً من أهل الحديث (طقوش،١٣٨٠، ص ١٦٣). وكان الأئمة يهتمون بالنزعات العاطفية والمذهبية لدى الناس، كما يوصون أصحابهم بالعقلانية في كلامهم عن الخلفاء، والاحترام لصحابة النبي صلى الله عليه وآله (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج٧، ص ٤٩؛ الطوسي، ١٤١٤هـ، ج٧، صص ٥٢٢ و٥٢٣). أما تجاه الخلفاء العباسيين فاتخذوا سياسة الصمت النِسبي والمواجهة السلبية، حفاظاً على حياتهم و حياة أصحابهم، وبقاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام. فكان موقف الإمام العسكري عليه السلام تجاه هذه الفئة هو استخدام تكتيك التقية (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٣٩)، والتوسع في مؤسسة الوكالة وتنظيمها (الكشي، ١٤٠٩هـ، صص٥٨٠- ٥٨١)، والتأثير الروحي على رجال السياسة في البلاط العباسي (ابن بابويه، ١٣٩٥ب، ج١، صص ٤١-٤٢) وإلقاء الضوء على مسألة المهدوية، وإعداد الشيعة لفترة الغيبة (ابن بابويه، ١٣٩٥ب، ج٢، ص ٤٠٩).

٢. التيارات الفكرية الشيعية، مثل الزيدية، والإسماعيلية، والغلاة، والواقفة.
والملفت للنظر هو أنّ تحديات الأئمة في التعامل مع هذه الفئات - سيّما الغلاة - كانت أكثر وأشد من التحديات والمشكلات التي يوجدها المخالفون من غير الشيعة، لأن هذه الفئات من خلال تطرّفها السياسي والفكري كان لها دور كبير في تضعيف مكانة مدرسة أهل البيت وأحياناً

تشويه سمعتها، مما مهّد السبيل لمعارضي الإمام (ابن شهرآشوب، ١٣٧٩، ج٤، ص ٤٣٦). فكانت المواجهة لهذه الفئات من خلال المقاطعة الاجتماعية والمذهبية (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، صص ٤٥٢ - ٤٥٣؛ الإربلي، ١٣٨١هـ، ج٢، صص ٤٢٩ - ٤٣٠)، والتنوير في إطار التعريف بالأئمةعليهم السلام (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، صص ٢٦٩- ٢٧٠؛ الطوسي، ١٤١١، ص ٢٤٧)، والمقاطعة، والطرد واللعن (الإربلي، ١٣٨١، ج٢، ص ٤٢٦؛ الكشي، ١٤٠٩هـ، صص ٥٣٥ و٥٧٣).

٣. الفرق الكلامية المستقلة، كالخوارج، والجبرية، والقدرية، والمعتزلة، غير أنها لم تلق ترحيباً من قبل الجمهور. فالعديد من أحاديث الإمام العسكريعليه السلام حول محاربة البدعة ومواجهتها، والتبرّي من أصحابها، قد وردت بشأن هذه الفِرق، كما أنّ اهتمامه بتبيين المواضيع الكلامية، مثل الإمامة، والنبوة، والتوحيد، وغيرها، يمكن تفسيره مع ملاحظة معتقدات هذه الفئة (الحراني، ١٣٨٥، صص ٨٨٣-٨٩٥ ؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٩، ج٤، ص ٤٢٩؛ الإربلي، ١٣٨١، ج٢، ص ٤٢٥).

٤. التيارات الفقهية التابعة لنظام الخلافة، من قبيل الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنبلية. وكانت هذه التيارات يقودها الفقهاء والمحدثون من أهل السنة، الذين يعرفون في الروايات والأخبار التاريخية بأسماء خاصة، مثل "أهل الحديث"، و"أهل الرأي"، و"أهل الأثر"، و"الجماعة"، و"العامة"، وقد أُطلق على الجميع فيما بعد "أهل السنة" (پاكتچي، ١٣٧٢). فكان المبدأ العام في توصيات الإمام العسكريعليه السلام لشيعته حول كيفية التعامل مع هذه الفئة هو الالتقاء والتقارب (الحراني، ١٣٨٥، ص ٨٩١).

٥. أصحاب الديانات والأفكار غير الإسلامية (من أهل الكتاب والجماعات الإلحادية كالزنادقة والدهريين و...)؛ فكان لهؤلاء أنشطة فكرية وثقافية مؤثرة، والكثير من مناظرات الأئمةعليهم السلام كانت بهدف المواجهة الفكرية

لهذه الجماعات. كما أنّ كهَنة الزرادشتية في القرنين الثاني والثالث كانوا يتصدون لمناظرة سائر الأديان وخاصة الإسلام علناً (ابن النديم، د. ت، ص ٦١١). وقد عمد أهل الكتاب منذ الفتوحات الإسلامية إلى بثّ الشبهات والإسرائيليات بين المسلمين، مما ترك أثراً كبيراً على المسلمين من الناحية الفكرية. وكان خلفاء الدولة العباسية يشاورونهم في بعض الأحيان، ولهذا كانوا يتمتعون بدعم الخلفاء. ومع اتّساع حركة الترجمة إبّان القرن الثالث الهجري ازداد نطاق أنشطة هؤلاء، فكانوا يبادرون أحياناً إلى مناظرة الأئمة، تماماً كما في عهد الإمام الرضا عليه السلام، وكان الأئمة يرون من واجبهم الردّ على شبهاتهم، وكان لهذه المناظرات دور فاعل في نمو الشيعة وتطورهم العلمي. وبالرغم من حزم الأئمة في مواجهة انتشار هذه الأفكار والشبهات، إلا أنهم وبشكل عام كانوا يتعاملون مع هؤلاء بالتسامح وسعة الصدر وبعيداً عن الغلظة، وذلك بغية هدايتهم (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٢٢).

٤. معنى «أهل الكتاب» لغةً واصطلاحاً

نجد من خلال البحث اللغوي لمفردة أهل الكتاب أن «الأهل» تأتي بعدّة معان، منها: الاستحقاق، والأسرة، والأقارب، والأنس، والانتماء إلى شيء، وبناءً عليه عندما يضاف إلى كلمة «الكتاب» يفيد معنى «المنتمون إلى الكتاب». وبما أنّ المراد من الكتاب، هو الكتاب السماوي، فأهل الكتاب يعني أصحاب الكتب السماوية، وأتباع الأديان الإلهية، إلا أنّ هذا المصطلح لا يطلق في القرآن وفي الثقافة الإسلامية على المسلمين. إنّ اختيار هذا المصطلح - والذي يبدو أنه استخدم لأول مرّة في القرآن - يرجع سببه إلى أنّ وجود الكتب السماوية يعتبر قاسماً مشتركاً بين جميع الأديان الإلهية، كما يقطع الطريق أمام مدّعي الأديان

المختلَقة. وقد ورد مصطلح أهل الكتاب ٣١ مرة في القرآن الكريم، وذلك في ٣١ آية ضمن ٩ سور، وأكثر استخدامه في سورة آل عمران، حيث تكرّر ١٢ مرة (القرشي، ١٣٧١، ج١، صص ١٣٥-١٣٧). وقد أطلق مصطلح أهل الكتاب على جماعة من أتباع الأديان التي لها كتاب سماوي، والقدر المتيقن منها هو اليهود والنصارى، حيث يعتبران مصداقين لهذا المصطلح في الثقافة الإسلامية. وقد ذكر في القرآن اسم الصابئين والمجوس (الزرادشتيين) إلى جانب اليهود والنصارى (البقرة، ٦٢؛ المائدة، ٦٩؛ الحج، ١٧). وبناء على هذا عدّ القرآن اليهود والنصارى من أهل الكتاب بصراحة، فيما اعتبر الزرادشتيين والصابئين من أهل الكتاب ضمنياً، وروي عن أمير المؤمنين: «المجوس أُلحقوا باليهود والنصارى في الجزية والدّيات، لأنهم قد كان لهم فيما مضى كتاب» (مفيد، ١٤١٣هـ، ص٢٧٠). وذهب الكثير من علماء أهل السنّة إلى أن زرادشت من أنبياء الله، ورفع الله كتابه إلى السماء بعد مقتله (الجزيري، د. ت، ص ٧٣). ويجدر الانتباه إلى أنّ عدم ذكر بعض الأديان ضمن هذه الفئة الاجتماعية (أهل الكتاب) لا يعني بالضرورة نفي إطلاق هذا المصطلح عليها، وشموله لها. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض الآيات القرآنية تحدّثت بصراحة عن اعتقاد بعض الصابئين بإله الواحد، واليوم الآخر، والتزامهم بالعمل الصالح (البقرة، ٦٢؛ الحج، ١٧)، مما يؤكد على أنّ المؤمنين منهم يتّبعون سبيل الحق. وعلى كل حال تردّدت مصادر الملل والنحل في إلحاق هذه الفئات الدينية بأهل الكتاب، وذلك بسبب عدم تصريح الآيات القرآنية من جهة، وضآلة المعلومات حول معتقدات وسلوكيات الزادشتيين والصابئين من جهة أخرى، ولذلك أطلقت هذه المصادر عليهم عنوان "من له شبهة كتاب". وأكثر الجهود في إثبات أن الزرادشتيين هم من أهل الكتاب هي في الواقع بصدد إثبات أنهم أتباع كتاب سماوي يتضمن التعاليم المشتركة بين الأديان التوحيدية (باكتجي،١٣٧٢، ج١٠، في مقالة «أهل الكتاب»، صص ٤٧٥-٤٧٦). وعلى العموم فإنّ المراد

من أهل الكتاب هي شتى الجماعات التابعة لليهود والنصارى وغيرهما من الأديان السماوية، والذين أنزل الله لهم كتاباً، ونظّموا حياتهم على أساس مجموعة من الأحكام والشرائع الدينية السماوية. أما في الدراسة الحاضرة حول أساليب تعامل الإمام العسكري عليه السلام مع أهل الكتاب؛ فنحصر مصطلح أهل الكتاب في أربع جماعات، وهي اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئة، إلا أنّ عدد الصابئين والمجوس واليهود في النطاق الزماني والمكاني لهذه الدراسة قليل جداً.

٥. الوضع الثقافي والاجتماعي لأهل الكتاب في عهد الأمام العسكري عليه السلام

كانت الممارسات التربوية والتبليغية في سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام لإرشاد الفئات المستهدفة تقوم على أساس الظروف الفكرية وعقليات المخاطبين وكذلك ظروفهم الاجتماعية والعاطفية، فكان أهل الكتاب بغضّ النظر عن نوعية كتابهم السماوي؛ كانوا يؤمنون جميعاً بالله وصفاته الذاتية، كالعلم، والأزلية، والأبدية، أما بالنسبة للنبوة فكانوا يعتبرون نبيهم أخر الأنبياء، ويدعون الجميع إلى الإيمان بدينه، وذلك انطلاقاً من تعصباتهم التقليدية أو مصالحهم القومية. فتيار أهل الكتاب إضافة إلى هويته الفكرية والثقافية؛ كان يعدّ إحدى الطبقات المجتمعية. ومن سمات تلك الفترة فيما يتعلق بنشاطاتهم الفكرية والاجتماعية يمكن الإشارة إلى: تكريم علماء وأطباء أهل الكتاب من قبل الدولة [العباسية] (البحراني، ١٤١١هـ، ج٦، صص ١١١-١١٢)، ومحاولة بعض أهل الكتاب لإضلال المسلمين، وتسلّل الشرك إلى معتقداتهم وعباداتهم (ابن شهر آشوب، ١٣٧٩، ج٤، ص٤٢٥؛ قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٤١)، وتسامح الخلفاء والحكام مع أهل الكتاب، وعدم تدخّل الدولة في طقوسهم المذهبية، ودعم الدولة لهم، وحضورهم في المراسيم والاحتفالات الحكومية (إبراهيم حسن، ١٣٨٦، ص ٩٠٥).

٦. أساليب تعامل الإمام العسكري عليه السلام مع أهل الكتاب

يقتضي مبدأ تشخيص المخاطبين بشتى ميولهم واتجاهاتهم أن لا يتعامل الإمام العسكري عليه السلام مع مجموع هذه الفئات المخالفة بأسلوب واحد، فمعرفة الإمام عن المجتمع الذي يهتم بإرشاده كانت توجب عليه أن يميز بين المعارض الجاهل أو الغافل من جهة والمعارض العالم والواعي من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس كانت أساليب تعامل الإمام مع أهل الكتاب وفقاً لمعرفة الظروف، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ بعض أهل الكتاب يعارضون الإمام والإسلام عن وعي وعلم، وبعضهم الآخر عن جهل وغفلة. ومن هنا كان الإمام العسكري عليه السلام يؤمن بأن التنوير والتوعية ينتهي إلى إيمان أهل الكتاب واجتذابهم إلى الإسلام، كما يؤدي إلى تحصين المسلمين ضد الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب. ومن أهمّ مبادرات الإمام في التعامل مع أهل الكتاب ما يلي:

٦-١. الرد على الشبهات وتحويل التهديدات إلى فرص

اضطربت التعاليم العقائدية في عهد الإمام العسكري عليه السلام بشدّة، وذلك جرّاء النشاطات التشويهية والمتحيزة من قبل بعض المنحرفين والمعاندين الذين عمدوا إلى إثارة الشبهات حول العقائد الإسلامية. كما أنّ البعض من غير المسلمين أيضا قاموا بالأعمال التضليلية ضد المسلمين. فلم يتوان الإمام العسكري عليه السلام في مواجهة هذه الفئات، بل اهتمّ بالدفاع عن الإسلام والردّ على الشبهات، فقام عليه السلام بالتنوير والتوعية ضد الشبهات والدعايات التي يثيرها أهل الكتاب من أجل الخلط بين الحق والباطل، معتمداً في ذلك على الحلم وشرح الصدر. ومن النماذج على هذه الأعمال التنويرية أنّه فضح راهباً يريد أن يجعل المسلمين يشكون في الإسلام ويميلون إلى المسيحية، وأجاب عن الشبهة التي أثارها، حيث روي أنّه حدث في عهد الإمام العسكري عليه السلام قحط، فأمر الخليفة المعتمد العباسي (حكم: ٢٥٦-

٢٧٩هـ) أن يخرج الناس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء، فخرجوا لثلاثة أيام متتالية يدعون الله، لكن لم ينزل عليهم مطر، وخرج النصارى مع الجاثليق والرهبان إلى الصحراء، فكان فيهم راهب، ما إن رفع يديه إلى السماء للدعاء حتى أمطرت السماء، مما أدّى إلى تردّد بعض المسلمين في دينهم، حيث آمن بعضهم بالمسيحية. عندما انتشر هذا الخبر استعان الخليفة بالإمام وهو في السجن قائلا: أدرك دين جدّك يا أبا محمد! فقال الإمام عليه السلام: «إنّي خارج في الغد ومزيل الشك إن شاء الله». فخرج الجميع في اليوم التالي إلى الصحراء، وعندما رفع الراهب يده إلى السماء أشار الإمام إلى أحد غلمانه أن يقبض على يد الراهب ويأخذ ما أخفاه بين إصبعيه، ففعل الغلام ما أمره الإمام، وأخرج قطعة عظم من بين أصابع الراهب. ثم قال الإمام للراهب: استسقِ الان! فرفع الراهب يده للدعاء، إلا أنّ الغيوم تبدّدت وظهرت الشمس. فسأل الخليفة: ما هذا العظم يا أبا محمد؟ فأجاب الإمام: هذا العظم لأحد الأنبياء، وقد حصل عليه الراهب من قبره، وكلما كشف عن عظم نبي نزلت السماء بالمطر (ابن شهر آشوب، ١٣٧٩، ج٤، ص ٤٢٥؛ قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٤٤١؛ الإربلي، ١٣٨١، ج٢، ص ٤٢٩). وهكذا زال الشك والريب، وفرح الخليفة والمسلمون.

ومن خلال هذه المبادرة الذكية من قبل الإمام العسكري عليه السلام اعترف الخليفة بمكانة الإمام باعتباره المصدر الوحيد الموثوق لحفظ الدين، وقد تبين للجميع أن الحكومة ليس لها دور علمي ولا عملي في مجال الدين، وفي الواقع فضح الإمام الحكومة، كما زالت الشبهة عن المجتمع الإسلامي من خلال هذه القضية، وتمّت السيطرة علي الرأي العام في تلك الظروف المتأزّمة. وبعبارة أخرى إنّ الإمام باعتباره المتولّي للشؤون الثقافية في المجتمع استطاع بتدبيره الصحيح أن يغتنم هذه الحادثة التي كادت أن تمثّل تهديداً على المجمتع الإسلامي، وحوّلها إلى فرصة لحفظ الإسلام والمسلمين، وفضح الماهية الزائفة للحكومة، حيث اعترف الخليفة

عملياً بمكانة الإمام باعتباره الشخصية الوحيدة الصالحة لحفظ الإسلام. إن الإمام وبالرغم من معارضته للحكومة وحكام عصره؛ إلا أنّه دخل الساحة عند تقابل الإسلام والكفر، فأثبت حقانية الإسلام، وكانت نوعية سلوك وفعل الإمام في هذه القضية بحيث انتبه الناس لدفاعه عن الإسلام، وبهذا الشكل زال شك المسلمين حول حقانية الإسلام، وتمكن الإمام من خلاله أن يحفظ الأمة الإسلامية والنظام الإسلامي عن الأفول التدريجي.

٦-٢. إثبات أعلميته لجذب الآخرين

كان الإمام العسكري عليه السلام أعلم الناس في عصره في العلوم العقلية والنقلية، وقد روي أنّ بختيشوع وهو من أشهر أطبّاء النصارى في عهد الإمام العسكري عليه السلام والطبيب الخاص للبلاط العباسي؛ قال لتلميذه "بطريق" أو "فطرس" عن شخصية الإمام:

«هو أعلم في يومنا هذا ممن تحت السماء، فاحذر أن تعترض عليه فيما يأمرك به» (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٢٢). وبحسب هذا الخبر طلب الإمام من بختيشوع أن يبعث إليه رجلاً ليفصده، فبعث إليه بختيشوع تلميذه "بطريق"، وذكره بمكانة الإمام العلمية، وحذّره من مخالفته فيما يأمره به (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٢٢). يقول بطريق: «أحضرت طشتاً وفصدت الإمام، فلم يزل الدم يخرج حتى امتلأ الطشت، فقال لي الإمام: اقطع الدم، فقطعته، فأرسلني إلى حجرة وبقيت فيها حتى العصر، فدعاني ثانية وطلب أن أفصد مرة أخرى، ففصدت فخرج الدم حتى امتلأ الطشت، فقال الإمام: اقطع، فقطعت، فأرسلني إلى الحجرة، وبقيت فيها حتى الصبح، فطلبني الإمام، وأمرني بالفصد، ففصدت، فخرج من يده دم أبيض مثل اللبن، إلى أن امتلأ الطشت، فقال لي اقطع فقطعته، فأعطاني أجرة وقال: خذها وانصرف». يقول بطريق فرجعت إلى

أستاذي بختيشوع وحكيت له ما جرى، فقال بختيشوع: اتفق الحكماء على أنّ أكثر ما يكون في بدن الإنسان هو سبعة أمنان[1] من الدم، وهذا الذي حكيت لو خرج من عين ماء لكان عجباً، وأعجب ما فيه اللبن. ففكر الأستاذ ساعة، ثم مضينا ثلاثة أيام ولياليها نطالع الكتب لكي نجد شيئاً عن هذا الفصد، فلم نجد. فقال بختيشوع ليس اليوم في النصرانية طبيب أعلم من راهب بدير العاقول، فكتب إليه كتاباً شرح فيه ما جرى، فذهبتُ بالكتاب عنده، فقرأ الكتاب وسألني: أنت الذي فصدت ذلك الرجل؟ قلت: نعم. قال: طوبى لأمّك. فذهبنا معاً إلى سامراء، وصرنا إلى دار الإمام، ففتح البابَ خادم أسود وقال: أيكما راهب دير العاقول؟ فقال الطبيب: أنا. فدخل مع الطبيب الدار، وبعد ساعات خرج الطبيب وهو قد نزع ثياب الرهبانية ولبس ثياباً بيض، وقد أسلم، فقال لي: خذني الآن إلى دار أستاذك، فانطلقنا إلى دار بختيشوع، فعندما رآه بختيشوع وقد أسلم، أظهر استياءه من ذلك وقال: ما الذي أزالك عن دينك؟ فأجاب الطبيب: إنّي وجدت المسيح وأسلمت على يده. فقال الأستاذ هل رأيت المسيح؟! أجاب الطبيب: نعم رأيته أو نظيره، فإنّ هذا الفصد لم يفعله في العالم إلا المسيح، وهذا الرجل نظيره في آياته وبراهينه. ثم رجع إلى الإمام ولزم خدمته إلى أن مات (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٤٢٢؛ المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٥٠، ص ٢٦٠). وقد ذكر الكليني هذا الخبر في الكافي مع اختلاف بسيط (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، صص ٥١٢-٥١٣).

وقد شاعت في هذا العصر ترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة، كما أنّ الحركة العلمية كانت تتقدم أكثر فأكثر وذلك من خلال تكريم العلماء وتوفير الظروف المؤاتية للمحققين والمترجمين؛ الأمر الذي أدى إلى زيادة في عملية

١. المنّ هو رطلان.

الهجرة، وأسفر عن حضور فاعل للنسطوريين واليعقوبيين والزرادشتيين والصابئين والبراهمان في عاصمة الخلافة العباسية (الشلبي، ١٣٦١، ص ٧٧). وكذلك انتشر في هذا العصر الطب السرياني على يد الأطباء المسيحيين السريانيين في بغداد، وأخذ الخلفاء ووزراؤهم بإنشاء المستشفيات. وكان هؤلاء الأطباء محل اهتمام البلاط العباسي وبالتالي توفرت الأرضية لاهتمام أكثر بالمسيحية في هذه الفترة، ولأجل إحباط هذه الظاهرة وهذه النظرة إلى المسيحية اتخذ الإمام مثل هذا التكتيك العلني والعملي، حيث نجد في الرواية المذكورة أعلاه وبالتحديد في الحديث الذي جرى بين بختيشوع وتلميذه من جهة؛ وبين الطبيب النصراني وبختيشوع من جهة أخرى اعترافاً من قبل طبيبَين حاذقين مسيحيين بالمكانة العلمية المرموقة للإمام عليه السلام. فطبيب دير العاقول بعد أن سمع قصة فصد الإمام، والتقى به، ورأى منه آيات وبراهين أدرك حقانية الإمام العلمية، ووجده نظيراً للنبي عيسى عليه السلام، فآمن به وبقي ملازما له حتى نهاية عمره. وقد استفاد الإمام من هذه الفرصة لنشر دين الإسلام. وأهمّ ما جعل الطبيب النصراني يعتنق الإسلام هو علمه وبراعته في الطب، حيث تبين له عظمة الإمام العلمية، فآمن به، فإنّ براعة الإنسان في فرع من العلوم يجعله أكثر استعداداً لقبول الحق، لأنه يدرك الحق قبل الآخرين. إذاً كان أسلوب الإمام في نشر الدين متماشياً ومتلائماً مع القدرات العقلية والنفسية وخصائص أهل زمانه، حيث اختار المضمون التبليغي والدّعوي متناسباً مع الأرضيات والظروف الاجتماعية، وبناء عليه نرى أنّ الإمام عليه السلام في تعامله مع تلميذ الطبيب النصراني لم يبتدئ -وخلافاً لما يتوقع منه- بالدعوة والإرشاد والتوصية، بل كان أسلوبه من نوعية المواضيع الرائجة بين أهالي ذلك العصر، والتي يجذب قلوبهم وعقولهم، يعني مسألة نهضة الترجمة والأنشطة العلمية لعلمائهم، فالإمام وبالاعتماد على معرفته الواسعة التي تعدّ من مستلزمات النشاط الثقافي، أثبت أفضليته العلمية، وحوّل التهديد (وهو وجود راهب خبير كان بإمكانه أن يوفّر الأرضية لميل الكثيرين إلى المسيحية وذلك

من خلال عقيدته الدينية وتفوّقه العلمي) إلى فرصة (وهي استمالة ذلك الراهب العالم إلى الإسلام)، حيث أنّ توجّهات مَن كان بالمستوى العلمي الذي تمتّع به الطبيب المسيحي قد تلعب دوراً كبيرا في ميل الجماهير إلى المسيحية.

٦-٣. الرفق والمرونه في التعامل مع الآخرين

التأثير على القلوب يتوقف على التعامل اللّين والمرن، فعندما يلين القلب ويتنبّه الضمير، يكون هناك استعداد أكبر لقبول الأفكار، وبحسب رؤية الإمام فإنّ الاختلاف العقدي والديني لا يستلزم الإساءة والإهانة. ومن نماذج التعامل الحسن مع أهل الكتاب هي قصة أنوش النصراني والإمام، فقد روى أبو جعفر أحمد قصير البصري: « حضرنا عند سيّدنا أبي محمدعليه السلام بالعسكر، فدخل عليه خادم من دار السلطان، فقال له: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: كاتَبنا أنوش النصراني يريد أن يطهّر ابنين له، وقد سألَنا مساءلتك أن تركب إلى داره، وتدعو لابنيه بالسلامة والبقاء، فإنّا لم نجشمك هذا العناء إلّا لأنّه قال: نحن نتبرّك بدعاء بقايا النبوة والرسالة. فقال مولانا: الحمد لله الّذي جعل النّصارى أعرف بحقّنا من المسلمين» (البحراني، ١٤١١هـ، ج٦، صص ١١١-١١٢).

ثم قالعليه السلام: اسرجوا لنا، فركب حتى ذهبنا إلى أنوش، نخرج إليه مكشوف الرأس حافي القدمين، وحوله القسّيسون والشمامسة (جمع الشمّاس وهي كلمة سريانية معناها الخادم للكنيسة) والرهبان وعلى صدره الإنجيل فتلقّاه على باب داره، وقال له: يا سيّدنا أتوسّل إليك بهذا الكتاب الّذي أنت أعرف به منا إلّا غفرت لي ذنبي في عناك وحقّ المسيح عيسى بن مريم وما جاء به من الإنجيل من عند الله، ما سألتُ أمير المؤمنين مسألتك هذه إلّا لأنّا وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عند الله. فقال مولانا: الحمد لله، ودخل على فرسه والغلامان على منصّة، وقد قام الناس على أقدامهم. فقال: أمّا ابنك هذا

فباق عليك، وأمّا الآخر فمأخوذ عنك بعد ثلاثة أيّام. وهذا الباقي يسلم ويحسن إسلامه ويتولّانا أهل البيت، فقال أنوش: والله يا سيّدي إن قولك الحقّ، ولقد سهل عليّ موت ابني هذا لما عرّفتني أنّ الآخر يسلم، ويتولّاكم أهل البيت. فقال له بعض القسّيسين: ما لك لا تُسلم؟ فقال له أنوش: أنا مسلم ومولانا يعلم ذلك، فقال مولانا: صدق ولو لا أن يقول النّاس: إنّا خبرناك بوفاة ابنك ولم يكن كما أخبرناك؛ لسألنا الله بقاءه عليك. فقال أنوش: لا أريد يا سيّدي إلّا ما تريد» (البحراني، ١٤١١هـ، ج٦، صص ١١١-١١٢). فيقول راوي الخبر: مات والله ذاك الابن بعد ثلاثة أيّام، وأسلم الآخر بعد سنة، ولزم الباب معنا إلى وفاة سيّدنا أبي محمد عليه السلام (البحراني، ١٤١١هـ، ج٦، صص ١١١-١١٢).

وبالتأمل في سلوك وكلام أنوش يتبين لنا بوضوح مكانة الإمام عليه السلام، فهذا الخبر إلى جانب دلالته على تواضع الإمام ومحبته لرجل مسيحي وقبول سؤاله، فإنّه يبين اهتمام أهل الكتاب بالمكانة الروحية والعلمية للإمام العسكري عليه السلام، ومن هنا كانوا وبعد ما يثبت لهم مكانة الإمام، يعتنقون الإسلام، بل يلزمون خدمة الإمام، كما فعل أنوش النصراني وابنه.

٦-٤. البراءة من الشرك

الثنويون هم فرقة من أهل الكتاب الذين يعبدون إلهين اثنين، حيث يؤمنون إلى جانب الله القديم بقديم آخر. وهؤلاء هم المجوس الذين يقولون بمبدأين: مبدأ الخير ومبدأ الشرّ (مصطفوي، ١٣٦٨، ج١١، صص ٣٦ - ٣٧). فيرون أنّ كل مخلوق خلقه الخالق الأول، يريدون بذلك اعتبار أنّ الله مخلوق أيضاً (نفس المصدر)، ومن الواضح أنّها نظرية باطلة، حيث روي عن المعصوم: "إن الله تعالي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق" (مصطفوي، ١٣٦٨، ج١١، صص ٣٦ - ٣٧).

كان الخلفاء يشغلون المسلمين بمسائل عقدية ليحرفوهم عن أهمّ مسائل

الحكومة، مثل سيطرة الأتراك، والثورات العلوية والحركات الشعبية. وقد ورد في تاريخ الدولة العباسية أنه كلما انتمى خليفةٌ لاتجاه فكري وعقائدي، كان معارضون لذلك الاتجاه يتعرضون لأنواع الإيذاء والإساءة، وقد يحكم عليهم بالقتل، أما الإمام العسكري عليه السلام كان يراقب هذه القضايا بدقة، ويتخذ تجاهها موقفاً ذكياً (جهاني، ١٣٨٤، ص ١٤١). روي عن محمد بن الربيع الشائي وهو من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام: «ناظرتُ رجلا من الثنوية بالأهواز، ثم قدمت سرّ من رأى، وقد علق بقلبي شيء من مقالته، فإني لجالس على باب أحمد بن الخضيب إذ أقبل أبو محمد عليه السلام، فنظر إليّ وأشار بسباحته: **أحدٌ أحدٌ فردٌ**». وبهذا الكلام أفهمه الإمام أنّ الثنوية باطلة، والاعتقاد بها كفر، لأنّ الثنوية بمعنى الميل عن التوحيد، والاعتقاد بالشريك لله، وسبحان الله عما يشركون (المامقاني، د. ت، ج٣، ص ١١٦).

وروي عن أبي سهل البلخي أنّ رجلاً سأل الإمام العسكري عليه السلام أن يدعو لأبويه، وكان أبوه من الثنويين، وأمّه امرأة مؤمنة، فكتب له الإمام: رَحِمَ اللَّهُ وَالِدَتَكَ والتَّاءُ مَنْقُوطَةٌ (بِنُقْطَتَيْنِ مِنْ فَوْق)؛ احترازاً عن «والدَيك» بالياء (الإربلي، ١٣٨١، ج٢، ص ٤٢٦؛ الحر العاملي، ١٤٢٥هـ، ج٥، صص ٣٩ -٤٠). فتأكيد الإمام على عدم قراءة الكلمة بـ«الياء» فيه إشارة إلى ضرورة الاجتناب عن أي تأييد لهذه الفئة (يعني الوثنيين). كما أنّ في دعاء الإمام دلالة على بطلان الوثنية من وجهة نظره، حيث لم يعتبر الإمام أي استثناء في طلب المغفرة، ودعا فقط للمؤمن منهما ولم يدعُ للوثني، فموقف الإمام هذا هو خارطة طريق وسلوك ثقافي اتخذها مدير ومتولّي الشؤون الثقافية. إنّ الإمام وإلى جانب إبداء رؤية الإسلام حول أصل الخلقة، والتوحيد، وتوعية المسلمين، فإنّه رفض الفكر الوثني بحزم وبدون تسامح، وصرّح برأيه في إبطال هذا الفكر من وجهة نظر الإسلام.

٦-٥. الاستفادة من علم الغيب في سبيل الهداية

كان الإمام العسكري عليه السلام يغتنم كل فرصة ليدلّ أهل الكتاب على طريق الحق، تماماً مثل غيره من الأئمة عليهم السلام، وقد ورد في رواية أنّ جماعة من أهل الكتاب ذهبوا مع أبي القلاء صاعد النصراني إلى سامراء لأجل ظلامة من عامل البصرة، فالتقوا بأبي محمد عليه السلام وهو «على بغلة وعلى رأسه شاشة وعلى كتفه طيلسان». وكان صاعد النصراني يعرف اعتقاد الشيعة بأن الإمام لديه علم الغيب، فأخذ يحدّد في باله علائم وإشارات ليختبر صحة هذا المعتقد، وقال في نفسه: «إن كان الأمر على هذا فليحوّل مقدم الشاشة إلى مؤخرها، ففعل الإمام ذلك. قال صاعد: هذا اتفاق وصدفة، ولكن فليحوّل طيلسانه الأيمن إلى الأيسر والأيسر إلى الأيمن. ففعل الإمام ذلك». حينئذ اقترب الإمام إلى صاعد (وكان يأكل السمك مع أصحابه) وقال: «يا ثابت! لم لا تشتغل بأكل حيتانك عما لا أنت منه ولا إليه؟» فمن خلال إثبات علم الإمام بالغيب أسلم صاعد بن مخلد النصراني (ابن طاووس، ١٣٦٨، ص ٢٣٦). إذاً بحسب هذه الرواية أدّى إثبات علم الإمام بالغيب إلى إيمان رجل نصراني بحقانية الإمام وقداسته، وأخيرا اعتنق الإسلام.

نتيجة البحث

لقد أوضحت المراجعة السريعة لسيرة الإمام العسكري عليه السلام أنّ أي مبادرة صدرت من الإمام، صدرت عن وعي بالوضع السائد والأفكار والظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية في عصره، حيث اتخذ سياسة التقية تجاه الخلفاء والإجراءات الأمنية المشدّدة، كما قام بالمكافحة السياسية ضد الحكومة من خلال توسعة شبكة الوكالة، والتأثير الروحي في شخصيات البلاط العباسي. وفي قبال التيارات الفكرية الشيعية اتخذ الحزم في القول والسلوك حتى يمنعهم من

الانحراف والتطرّف، كي لا يؤدي ذلك إلى سوء الفهم ويثير شك الأمة الإسلامية في التشيع. أما بالنسبة للتيارات الكلامية فعمد الإمام إلى التبيين الصحيح للتعاليم الدينية من خلال إلقاء الضوء على الموضوعات الكلامية، وفي تعامله مع أهل السنة كانت تعاليم الإمام للمجتمع الشيعي تتمحور حول تقارب الأمة الإسلامية، فهذه نماذج من نتائج إدراك الإمام لمقتضى الحال واستطاعة المخاطبين، والتي تُظهر سعيه للتقارب والتبيين الصحيح للدين وازالة الشبهات.

أثار علماء النصارى في عصر الإمام العسكري عليه السلام العديد من الشبهات، وذلك بهدف جذب المسلمين إلى المسيحية، وكان العباسيون يدركون أنّهم لو لم يحولوا دون التقاء العلماء والمفكرين بالأئمة عليهم السلام لاشتهر الأئمة باعتبارهم الأعمدة الثقافية، حيث يفتحون آفاق جديدة في المجالات العلمية وفي النظرة السياسية والاجتماعية للعالم، ولزوّدوا الأمة الإسلامية بمعرفة واسعة بمهارة وذكاء، ويؤدي ذلك إلى فضح جهل العباسيين وبُعدهم عن القيم الدينية والعقدية، ومن هنا كانوا يبذلون قصارى جهدهم للفصل بين الناس وقادتهم الحقيقيين، والحيلولة دون التعامل فيما بينهم.

وبالرغم من هذه المقاطعات والموانع إلا أنّ موقف الإمام تجاه أهل الكتاب ينمّ عن وعيه لنشاطاتهم الفكرية والثقافية، وإنّ الاستراتيجيات التي اتخذها الإمام في مجال التعايش، والتعامل، والإدارة الثقافية، من شأنها أن تكون قدوة صالحة للأجيال القادمة. كقضية استسقاء الرهبان وآثارها السلبية على المجتمع الإسلامي وتعامل الإمام معها بطلب من الحكومة. كما أنّ إثبات تفوّق الإمام العلمي لعلماء النصارى أثار إعجابهم، بل وتصديقهم بخط الإمام وعمله. وبالرغم من أنّ خوف بعضهم من كبارهم كان يمنعهم من قبول الحق؛ إلا أنّ البعض كان ينتهي بهم المطاف إلى اتّباع الإمام. ويظهر من أخبار تاريخية أخرى حول تعامل الإمام مع أهل الكتاب أنّه انتهج المرونة في المسائل الشخصية، واعتمد الحزم في الردّ

على الشبهات، ودافع عن الكيان والفكر الإسلاميين. ومن جانب آخر كان للرفق واللين في سلوك الإمام تأثير كبير في هدايتهم وجذبهم إلى الإسلام. إنّ أبرز النقاط في سيرة الإمام العسكري عليه السلام هو المداراة والتسامح من جهة، والحزم والصلابة من جهة أخرى، فحيثما لم يكن هناك تعارض مع المبادئ الدينية نشاهد الرفق والتسامح والمرونة، وأمّا في القضايا الجوهرية والإستراتيجية وخاصة مبدأ التوحيد والهوية الإسلامية والفكر الإسلامي فنشاهد الحزم والصلابة.

فهرس المصادر

* القرآن الكريم

* نهج البلاغة (المترجم: محمد دشتي، ١٣٨٢، الطبعة الأولى). قم: مسجد جمكران.

١. آقا نوري، علي. (١٣٨٧). امامان شيعه ووحدت اسلامي. قم: جامعة الأديان والمذاهب.

٢. ابن بابويه، محمد بن علي. (١٣٩٥ ب). كمال الدين وتمام النعمة (المصحح: علي أكبر غفاري). طهران: منشورات إسلامية.

٣. ابن بابويه، محمد بن علي. (١٣٩٨ ألف). التوحيد. قم: منشورات جمعية مدرسي الحوزة.

٤. ابن شهر آشوب، محمد بن علي. (١٣٧٩). مناقب آل أبي طالب. قم: منشورات العلامة.

٥. ابن طاووس، علي بن موسى. (١٣٦٨ ألف). فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم. قم: دار الذخائر.

٦. ابن طاووس، علي بن موسى. (١٤١١ ب). مهج الدعوات ومنهج العبادات. قم: دار الذخائر.

٧. ابن هشام، عبد الملك. (١٣٧٥). السيرة النبوية (المحقق: مصطفى سقا وآخرون). مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٨. أحمدي الميانجي، علي. (١٤٢٦). مكاتيب الائمة. قم: دار الحديث.

٩. الإربلي، علي بن عيسى. (١٣٨١). كشف الغمة في معرفة الأئمة (المحقق: السيد هاشم رسولي). تبريز: بني هاشمي.

١٠.الأصفهاني، أبو الفرج علي بن حسين. (د. ت). مقاتل الطالبيين. بيروت: دار المعرفة.
١١.الجزيري، عبد الرحمان. (د. ت). الفقه على المذاهب الأربعة (ج٤). بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢.الياش، جي. امام حسن عسكري، في" تصوير امامان شيعه در دايره المعارف اسلام" (تحت إشراف: محمود تقي زاده داوري، المترجم: حسين مسعودي). قم: موسسه شيعه شناسي.
١٣.البحراني، السيد هاشم بن سليمان. (١٤١١هـ). حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار. قم: موسسه المعارف الإسلامية.
١٤.پاكتچي، أحمد. (١٣٧٢). أهل سنت في: دايره المعارف بزرگ اسلامي (تحت إشراف: كاظم موسوي بجنوردي، ج١٠). طهران: مركز دايره المعارف بزرگ اسلامي.
١٥.جهاني، علي أكبر. (١٣٨٤). زندگي امام حسن عسكري (الطبعة الأولى). طهران: أمير كبير.
١٦.الجهشياري. (١٣٥٧). الوزراء والكتاب. القاهرة، دار الآفاق العربية.
١٧.حر العاملي، محمد بن الحسن. (١٤٢٥هـ). إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات. بيروت: الأعلمي.
١٨.الحراني، أبو محمد حسن بن علي ابن شعبة. (١٣٨٥). تحف العقول عن آل الرسول (المترجم: صادق حسن زاده). قم: آل علي.
١٩.حسن بن علي. (١٤٠٩هـ). التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام. قم: مدرسه الإمام المهدي.
٢٠.الحكيم، السيد منذر؛ صالحي، عبد الرزاق. (١٣٨٥). پيشوايان هدايت (ج١٣، المترجم: كاظم حاتمي الطبري، الطبعة الأولى). طهران.

٢١.دايره المعارف تشيع، تحت إشراف أحمد صدر حاج سيد جوادي. (١٣٦٨). طهران: منشورات مؤسسة دايرة معارف التشيع.
٢٢.ديويد، فرد. آر. (١٣٩٤). مديريت استراتژيك (المترجم: علي پارساييان). طهران: مكتب البحوث الثقافية.
٢٣.زارع، محمد؛ مصطفى، مطهري. (١٣٩٥). چگونگي مواجهه اهل بيت عليهم السلام با اهل كتاب. مجلة حديث حوزه، ش ١٣، صص ١١٥- ١٣٠.
٢٤.الشلبي، أحمد. (١٣٦١). تاريخ آموزش در اسلام (المترجم: محمد حسين ساكت). طهران: دار الثقافة الإسلامية للطباعة والنشر.
٢٥.الطباطبائي، السيد محمد حسين. (١٣٧٤). تفسير الميزان (المترجم: محمد باقر الموسوي، الطبعة الخامسة). قم: مكتب المنشورات الإسلامية.
٢٦.الطبرسي، أحمد بن علي. (١٤٠٣هـ). الاحتجاج. مشهد: منشورات مرتضي.
٢٧.الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٣٧٢). مجمع البيان في تفسير القرآن. طهران: منشورات ناصرخسرو.
٢٨.القرشي، علي أكبر. (١٣٧١). قاموس قرآن (الطبعة السادسة). طهران: دار الكتب الاسلامية.
٢٩.القمي، عباس. (١٤١٤هـ). سفينة البحار (الطبعة الأولى). قم: دار الأسوة للطباعة والنشر.
٣٠.الكشي، محمد بن عمر. (١٤٠٩هـ). رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال). (المصحح: محمد بن الحسن الطوسي). مشهد: منشورات جامعة مشهد.
٣١.الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٤٤). أصول الكافي. (المترجم: السيد جواد مصطفوي). طهران: مكتبة إسلامية.
٣٢.المامقاني، عبد الله. (د. ت). تنقيح المقال في علم الرجال. النجف: المطبعة المرتضوية.

٣٣.المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٤.المجلسي، محمد باقر. (١٣٥٤). بحار الأنوار. طهران: معارف الإسلام.
٣٥.محمد زاده، مرضية (١٣٩٣). حسن بن علي امام عسكري عليه السلام (الطبعة الأولى). قم: دليلنا.
٣٦.المسعودي، علي بن الحسين. (١٣٦٥هـ). التنبيه والإشراف (المترجم: أبو القاسم پاينده). طهران: مؤسسة «علمي وفرهنگي» للطباعة والنشر.
٣٧.المسعودي، علي بن الحسين. (١٤٠٩هـ). مروج الذهب. قم: دار الهجرة.
٣٨.مصطفوي، حسن. (١٣٦٨). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
٣٩.المفيد، محمد بن محمد بن نعمان. (١٤١٣هـ). المقنعة (الطبعة الأولى). قم: مؤتمر الشيخ المفيد.
٤٠.المفيد، محمد بن محمد بن نعمان. (د. ت). الإرشاد (المترجم: رسولي المحلاتي). طهران: منشورات إسلامية.
٤١.مكارم الشيرازي، ناصر. (١٣٦٨). پيام قرآن (الطبعة الثانية). قم: موسسة الإمام أمير المؤمنين.
٤٢.مكارم الشيرازي، ناصر. (١٣٧١). تفسير نمونه (الطبعة العاشرة). طهران: دار الكتب الإسلامية.
٤٣.منتظر القائم، أصغر. (١٣٩١). تمدن سازي نبوي وعلوي. أصفهان: منشورات مرغ سليمان.
٤٤.النوبختي، حسن بن موسى. (١٣٦١). فرق الشيعة (المترجم: محمد جواد مشكور). طهران: مؤسسة «علمي وفرهنگي» للطباعة والنشر.
٤٥.وقائع المؤتمر السنوي الرابع تحت شعار الإمامان العسكريان امتداد للإمامين الكاظمين. (٢٠١٦م/ ١٤٣٧هـ). بغداد: الأمانه العامة للعتبة الكاظمية المقدسة.
٤٦.اليعقوبي، ابن واضح. (١٣٧٩). تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر.